الجديد فى المشكلة الألمانية

للأســـتاذ عمر حليق

ألمانيا هى لواب السلم والاستقرار والرخاء فى القارة الأوربية إجمالا ، فإنتاجها من الصناعة الثقيلة والفحم والمواد الخام الأخرى ، ومبادلتها هذا الإنتاج مع الدول الأوربية المجاورة ، بالإضافة إلى حيوية الشعب الألمانى وتأصل الروح العسكرية فى بنيه ، يفرض على المهتمين بالشئون الدولية مراقبة كل تطور يلم بالمشكلة الألمانية باهتمام خاص . فإن الظروف التى أحيطت بها الألمان فى أعقاب هزيمتهم ظروف مؤقتة تتلاعب بها مصالح متنافسة بين الروس وحلفاء الغرب مما يهيىء لشعب واع كالشعب الألمانى أن يستفيد من حدة هذا التناقر كما حدث له فى أعقاب الحرب الأولى

فى الأشهر الأخيرة ألم بالمسألة الألمانية أحداث هامة . فقد أعلن حلفاء الغرب فى مناطق احتلالهم مشروعين رئيسيين يتوخيان إنهاء حالة الاحتلال العسكرى فى ألمانيا والعمل لإنشاء دولة ألمانية مقيدة الصلاحية فى شؤون الدفاع والسياسة الخارجية ؛ لكنها صلاحيات واسعة فى الشؤون الإدارية والاقتصادية والفكرية إلى حد ما . وهذا التطور يعنى أن الألمان منذ هزيمتهم الأخيرة يعطون الفرصة لإعادة ما يستصوبونه من كيان يتفق مع حاجاتهم ومصالحهم ونزعاتهم . وأحد هذين المشروعين يتعلق بتصفية الخلاف بين حلفاء الغرب أنفسهم حول المنطقة الصناعية الألمانية الهامة فى الرور ، وهذا يعنى أن عقبة كبرى فى وجه الحكم الذاتى لألمانيا قد زالت فى منطقة حلفاء الغرب على الأقل .

أما المشروع الآخر فيتعلق بأنظمة الحكم والإدارة ومراقبة نمو القومية الألمانية لتسير فى اتجاهات ديمقراطية وتكف عن التمجيد العنصرى الذى مكن للنازية سرعة النجاح ، وجعل العسكرية البروسية نظاماً تقليدياً هو المحور الذى يدور حواليه الألمان باحثين عن مخرج لأزماتهم النفسانية والاقتصادية .

والدراسات المتوفرة عن حاضر ألمانيا تشير إلى سرعة نمو القومية الألمانية نمواً عنيفاً حاداً . وهذا ما دفع حلفاء الغرب لأن يصوغوا الأنظمة والبرامج التى يضمونها للحكم الذاتى فى ألمانيا فى قوالب تحارب هذا النمو وتسعى جدياً للحد من عنفه وتوجيهه توجيهاً إنشائياً يتفق ومصلحة الحلفاء والديمقراطية التى يتوخون تثبيتها فى أواسط أوربا . والسلاح العلمى الذى يستعمله حلفاء الغرب لتوجيه هذا الانفعال الألمانى هو إعادة « تثقيف » الشعب الألمانى على أسس الديمقراطية الغربية .

أما السوفييت فى منطقة احتلالهم من ألمانيا الشرقية ، فإنهم يتبعون برامج تطبيقية عملية لبلشفة ذلك الجزء من ألمانيا بنفس الوسائل التى اتبعوها فى كل شبر من أوربا الشرقية التى خضعت لنفوذهم ، فى بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ودول البلطيق . ففى ألمانيا الشرقية ألحق الروس أجزاء غنية من الوطن الألمانى ببولندا وتشيكوسلوفاكيا ؛ وأمعنوا فى انتزاع أنياب الألمان العسكرية بنقل المصانع ووسائل الإنتاج إلى روسيا ، واستخدام المهرة من العمال الألمان فيها لخدمة الإنتاج الروسى ، وزجهم مئات الألوف من الجنود الألمان السوفين فى معسكرات العمل الإجبارى الخ . هذا إلى توجيه النظم الاقتصادية فى الصناعات الخفيفة والزراعة وأحوال المعيشة اليومية توجيهاً ماركسياً على النحو الذى تتبعه الحكومات الشيوعية فى روسيا ومنطقة نفوذها فى شرقى أوربا . وحلفاء الغرب وإن لم يلجئوا إلى هذه القسوة فى قمع الروح الألمانية ، سعوا تارة بجد وطوراً بغير جد للاحتياط لها على طريقتهم الديمقراطية . فقد أنشأ الحلفاء فى اجتماع عقد فى لندن فى الربيع المنصرم مجلس الدفاع العسكرى لألمانيا وهو يشرف على ثلاث هيئات تفتيشية تراقب الألمان فى نشاطهم العسكرى والصناعى ، وفى بحوثهم العلمية ، إلى جانب الهيئة الدولية لمراقبة الرور التى تحول بين ألمانيا وبين الاستفادة من الفحم والحديد لتنمية الصناعة الثقيلة وهى نوع خفى من الاستعداد الحربى ، وقل من الخبراء بشؤون ألمانيا من يعتقد بأن حلفاء الغرب مستطيعون كبح النمو الألمانى فى الناحية القومية والصناعية والعسكرية .

وأهله الذين فرغوا له . فما ظنك بمصادره يوم كانت الأمية فاشية ، والجهالة غاشية ، والثقة بعيدة ، والأسباب منقطعة ، والألسنة وحدها هى التى تنقل الأخبار من إنسان إلى إنسان ، ومن قبيلة إلى قبيلة ، ومن مدينة إلى مدينة ، ومن قطر إلى قطر ؟

لا يا سيدى ! ألحق أن التاريخ ثروة طائلة هائلة من كذب الإنسان ! فاقرأه كما تقرأ إلياذة هوميروس ، وإنيادة فرجيل ، وشهنامة الفردوسى ، ولا تلتمس الحق فى أحداث الأرض وأعمال الناس إلا فى الكتاب الذى يخرجه الله يوم القيامة لكل امرىء فيقرأ فيه ما قدمت يداه ، ثم يحاسبه أحكم الحاكمين على مقتضاه !

حسن حليق

وحتى فى هذا الطور الحالى من أطوار النمو الألمانى فإن الوعى الألمانى قد أخذ ينفجر عن انفعالات تعزز رأى هؤلاء الخبراء . فقد أضرب مثلا عمال المصانع فى منطقة الاحتلال البريطانية احتجاجاً على تفكيك المصانع الكبرى فى تلك المنطقة . والقارئ للصحف الألمانية فى مناطق الحلفاء يلمس بوضوح على الرغم من وطأة الرقابة حدة الانفعال الألمانى واتجاهه نحو هذا النمو القوى فى شتى نواحيه . وإن مهارة العامل الألمانى ووعيه وتركز النشاط الألمانى فى الصناعة والاقتصاد والتشكيل السياسى فى بوتقته القومية الألمانية يجعل « تثقيف » حلفاء الغرب للألمان عملا ضئيل الجدوى

ولكن ألسنة الرأى العام فى المعسكر الإنجلوسكسونى يحلو لها أن تعتقد أن الألمان مكبوح جماحهم بواسطة هاتين السلطتين : المجلس الدولى لمراقبة الرور ، وهيئة مراقبة الروح العسكرية والإنتاج الصناعى والبحوث العلمية . وهذه السلطة الأخيرة مقصورة على الدول الثلاث : بريطانيا وأمريكا وفرنسا .

وقد رأينا أن هيئة المراقبة الحليفة هذه وفروعها التفتيشية الثلاثة محدود نجاحها لأسباب تتصل بتصميم الخلق القومى الألمانى ، إلا أن هناك كذلك دوافع « خارجية » تؤثر على مدى هذا النجاح وهى كذلك مصدر صراع للمعنيين بالمشكلة الألمانية . ولما كان النشاط الألمانى الصناعى والفنى حيويا وضروريا لا لانعاش ألمانيا ورفع عبء النفقات المادية عن كاهل دافع الضرائب فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا فحسب ، بل لإنعاش أوربا المحطمة إجمالا ، فإن سلطة الرور الدولية تقيد الإنتاج الألمانى بشروط تلزم الألمان بتصدير جزء معين إلى البلدان المجاورة سواء رضى الألمان أم لم يرضوا ، وسواء فاض عن حاجتهم أم لم يفض ، ومن هذه الشروط كذلك إقصاء الصناع والخبراء الألمان الذين كانوا على صلات وثيقة بالحركة النازية عن وسائل الإنتاج فى الرور وغير الرور .

ويتوجس أعداء ألمانيا خيفة من هذه الحالة . فبالرغم مما يبدو من صرامة فى هذه القيود فإن هناك من يؤمن بأنها لن تكفى لإبادة عزم الألمان على المحاولة مرة أخرى للسيطرة على منطقة نفوذها التقليدية فى أوربا وفى العلاقات الدولية ، وفى الانتقام من عدوين لدودين هما اليهودية العالمية ، والشيوعية الدولية . وقد اضطرت سلطات الحلفاء فى الأسابيع الأخيرة لأن تنذر أصحاب الصحف الألمانية مراراً بأن يتفادوا توجيه الانفعال الألمانى توجيهاً عنصرياً ضد اليهود ، وإن كانت قد أغفلت حدة التوجيه المناهض الوجه ضد الشيوعية لأسباب واضحة . ولكن الألمان أو القوميين المنيفين منهم على الأقل يمزجون عن وعى « اليهودية العالمية » والشيوعية الدولية معاً . وبسبب هذا الخوف تواجه سلطات الاحتلال الحليفة فى ألمانيا انتقادات عنيفة من الكتلة اليهودية القوية النفوذ فى الولايات المتحدة وفرنسا كما حدث فى قضية (الزاكوخ) زوجة مراقب معتقل بوخنفالد وما تبع الحكم المخفف عنها من موجة انتقاد وضغط سياسى استدعى تأليف لجنة برلمانية أمريكية للتوصية بإعادة محاكمتها من جديد . ويواجه الحلفاء كذلك تحدياً قوياً من الاتحاد السوفياتى لإعادة الحكم الثانى لألمانيا الغربية الذى هو فى الواقع جوهر النزاع الشكلى بين الانجلوسكسون والروس فى المشكلة الألمانية . ولعل هذه المصلحة المشتركة تفسر لنا بعض دوافع التحالف السوفياتى اليهودى فى فلسطين وغير فلسطين حيث يشتد العنصر اليهودى فى كل حزب شيوعى يدين بالولاء لموسكو .

والخوف من بعث ألمانيا لا يقتصر على هؤلاء بل يحسب حسابه الفرنسيون والبلجيكيون والهولنديون الذين أصابهم منه شر عظيم مرتين فى ربع قرن . ولذلك فإن المشكلة الألمانية لا تزال موضوع خلاف على بعض النقاط الجوهرية بين حلفاء الغرب أنفسهم .

وهناك من يشير إلى خطورة برامج الاحتكارات الدولية (الكارتل) لاستغلال المهارة الألمانية فى الإنتاج الصناعى على حساب مستقبل السلم الأوربى على نحو ما حدث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

ولكن تباين المصالح بين حلفاء الغرب حول البحث الألمانى لم يحل بين صناع السياسة منهم ، وبين تنفيذ مشروعات هامة للانعاش الألمانى .

والخلاصة أن الألمان حين يتركون لأنفسهم سيكون طموحهم لبناء المجد العسكرى واستعادة المركز السياسى والسيطرة الصناعية على أواسط أوربا مقيدا بسياسة روسيا الصارمة فى الشرق وسلطات الرقابة الحليفة فى الغرب .

وكأن كلا الفريقين يحاولان انتزاع عود الثقاب من يد الولد الشرير ، ويقى عليهما محاولة انتزاع الشرنفسه . ولعل هذا أصعب المهمتين فى جو عرأس « الإصلاحية » وهم منه مشغولون بالتناطح

نيويورك

عمر عليبى